



مجلة

القرية العالمية

مجلة عربية ثقافية سنوية محكمة

تصدر عن

قرية اللغة العربية انغالا - نيجيريا

(مركز جامعي للدراسات العربية)

العدد الثاني الرقم الثاني



الاسماع والاعمار في السجود الخوي

224

د. عبد الرزاق عبد المحسن العبد

اسی وقت میں کہ جب کہ ایک ایک شخص کو ایک ایک کام دیا جائے۔

0110-7276/97/0005-0000\$05.00/0

Submitted: 20 September 2006; Accepted: 17 January 2007

Table 2. Summary of the results of the 2005 survey.

September

[illegible]

(١) ماهية الاستماع والإنصات في المذلول اللغوي

الاستماع مصدر من مادته الثلاثية الأصلية (س، م، ج) وزيد على هذا الأصل الثلاثي حرفان: فهما الألف والياء فصارت فعلاً خماسياً (استمع، يستمع، استماعاً) على زنة الفعل، واستمعه أو استمع له أو إليه بمعنى أصغى^١. وأما الإنصات فهو أيضاً مصدر، له مادته الثلاثية الأصلية (ن، ص، ط) فصارت، ينصت، ينصت، زيد عليها همزة فصارت أنصت وأنصت بمعنى سكت، والاسم: النصته بالضم. وأنصته، وأنصت له أي: سكت له واستمع لحديثه^٢ وأنصت إنصاتها: استمع، وأنصت له أي أحسن الاستماع لحديثه، وأنصته بمعنى سكته^٣ والتسكيت هنا يؤهل لأداء مطالب الإنصات على وجه لائق.

ومن خلال هذا التعريف اللغوي نجد العلة في وجود التلازم والتقارب بين التقطير في الاستعمال، وبلغ هذا التلازم إلى حد أنه قد يطلق أحدهما في مكان الآخر بغض النظر عما قد يفهم من أحدهما دون الآخر، ومما يؤيد هذا التلازم بينهما الاستعمال القرآني لهما معاً حين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، والذي يفوي غاية ما يرجح من يقرأ عنده القرآن أن يكون في غلبه، تأم بالاستماع وإنصات ليسرب في إدراكه معاني القرآن الخبيلة ويتفاعل مع نصه تفاعلاً قوياً بحيث لا يترك معه جزءاً من كتابه.

وليس اللفظان في الدرجة الدلالية المعنوية مع لفظ السماع الذي يعد مجرد استقبال الأذن للذبذبات صوتية من مصدر معين دون إعارفها انتباهاً مقصوداً، كسماع صوت الطائفة، أو صوت القطار، أو كسماع الخالص في مكثه لصوت خروج الهواء من جهاز التكيف^٤. فالسماع هذا المعنى يخالف عن الاستماع والإنصات إذ إنه عملية بسيطة تعتمد على "قبول" حية الأذن وقدرتها على التقاط هذه الذبذبات الصوتية. وهو أمر لا يتعلمه الإنسان لأنه لا يحتاج إلى تعلمه^٥.

(٢) روابط اللفظين في الاستعمال

ومن أقوى الروابط التي تجمع بين الاستماع والإنصات في الاستعمال كونهما في حفل لغوي واحد وفيما بينهما من أصرة ترادفية. والألفاظ المترادفة: هي التي يقام لفظ مقام لفظ، لمعان متقاربة، يجمعها معنى واحد؛ كما يقال: أصلح الفاسد، ولم الشعب، ورتق الفتق، وشعب الصدع، نجد أن هذه الألفاظ (أصلح، لم، رتق، شعب) كلها تحت حفل لغوي واحد وهي في مظلة الترادف اللغوي.

ومع أن هذه ظاهرة الترادف لم يكن علماء اللغة على موقف واحد منها؛ فهم فيها - بين التأييد والمعارضة والحياد؛ ولكل وجهة ما يحتاج لها أصحابها، فيقول ابن الأعرابي معارضا لهذه الظاهرة بأن كل حرفين أوقعتهما العرب عن معنى واحد، في كل منهما ليس في صاحبه ونصب ابن فارس رحي التفريق بين الأسماء العربية لإثبات عدمية ظاهرة الترادف في اللغة العربية حيث قوله إن "المائدة" لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام، والكأس لا تكون كأسا حتى يكون فيها شراب^١ وإلا فالأولى حوان والثاني "فدح وكوب". وقد أخذ المؤيدون لهذه الظاهرة من حلال احتجاجة أنه لم يفرق بين "الفدح والكوب"^٢ إذ هما لفظان متبنيان فقالوا بأن عدم تفريقه بين اللفظين إنباء أن اللفظين على قدر من التساوي^٣ وأنها لفظان مترادفان فيها دلالة واضحة بوجود ظاهرة الترادف اللغوي. وقد نست من المؤيدين وجود هذه الظاهرة (الترادف اللغوي) حيث كان الأصمعي يقول بأنه يحفظ للمحرر سبعين اسما. وقال ابن خالويه في مجلس سيف الدولة أنه يعرف لسيف خمسين اسما^٤.

والظاهر أن الاختلاف الحاصل في دقة معاني الألفاظ المترادفة لا يمنع من وجود هذه الظاهرة؛ غير أنه مما نحرّم به الإيمان أن تلك الألفاظ المترادفة بينها تفاوت في الدرجة فليست على مستوى واحد في دلالة معانيها مع أن الجامع بينها حفل لغوي واحد؛ فمثلا فيما حصل تعابر خفيف بين حروفها ويدعو ذلك إلى تعابر خفيف مثله في المعنى مثل: "الأر، أهر" كلا اللفظان جمع سهمي حفل لغوي واحد وهو التحريك؛ ولكنها مع ذلك يتعابر في أداء المعنى فالأول جعل معنى التحريك بالقوة؛ حيث إن الهمزة أقوى من الهاء. والثاني في دلالة التحريك بالهف، ففهم هذا من استعمال القرآن الكريم لهذين اللفظين حيث قوله جاثية: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ مُسَيِّدُ عَلَى الْكَافِرِينَ نُورُهُمْ أَزْأ﴾ (مريم: ٨٣) وقوله جاثية في

موطن آخر في قصة درم عليها السلام في حديثي إليك تلوح البصلة تساقط عليك رطبا
سما (درم: ٢٥)

وتكشف لنا الدراسة القوية الفاحصة أن اللفظين في معنيهما واحداً، ولكن الحاصل
فهما أن هناك تعارفاً في كيفية معنيهما حيث إن الأول يعمل في دلالة القوة التي تناسب
طبيعة كل من الشياطين والكافرين. وفي دلالة الثاني الحق والهدوء الذي يتماشى مع حالة
أولية درم الحاصل التي سابعها المضاف إلى مدح البصلة ومع هذا كله لا يخرج اللفظان عن
حد الترادف في أداء المعنى دون الكيفية. وهذا هو الحاصل بين لفظي الاستماع والإنصات
وإن لم يتحد نوعاً حروفهما، ولكن التقارب موجود في معنيهما ودلالاتهما.

(٣) موطن الائتلاف والاختلاف بين اللفظين

نستطيع القول من خلال التعريف المعرفي للفظين (الاستماع والإنصات) كما
لقدّم قلنا يعيدان السماع في الأصل المعنوي، ولعل من رافقهما على هذا المعنى الأصلي
زبدت على كل منهما بعض الحروف على حروف ما قلنا الأصلية، فزيد في "استمع" الألف
والفاء على مادته الثلاثية (سمع) كما زيد الألف في "انصت" على مادته الأصلية (نصت)،
ففي لاء هذه الزيادة في المبنى حصلت الزيادة في المعنى، فلا يعدو اللفظان في دلالتيهما أن
يكونا مجرد معنيهما في الأصل، وبالإضافة أن السماع كما تقدّم - طبيعي مع الإنسان لا
يحتاج إلى التعلم أو التدريب ولكن الاستماع والإنصات في حدّهما يحتاج إلى شيء من التعليم
والتدريب.

وكما سبق الحديث أن اللفظين يرادف أحدهما الآخر في المعنى مع تعابر لطيف في
الدلالة. ففي هذا الصدد، ومن الجدارة أن نكشف فروقا دقيقة بينهما، فإن الاستماع
بعد قلنا يشتمل على عمليات عقلية، فإنه ليس مجرد "سماع"، إنه عملية يعطي فيها المستمع
اعتماداً خاصاً، وإسقاطاً لمقصوداً لما تلقاه من الأصوات، "إخلاص السماع الذي هو أدق في
الإنسان قد يظن ولا يقول شيئاً، فهو أيضاً قد يسمع وهو لا يستمع إلى
شئ - فهو قد يظن بمرور لا متداول فاء فهو لم يقل شيئاً، وهو قد يسمع بسلا لإرادة ولا
هو، فهو لا يستمع إلى شيء - فباء على هذا، فمجرد "الظن" و"السماع" لا قيمة لهما عند

الإنسان العاقل، لا الاستماع

فبناء على أساس هذا المعنى فإن الإصبات هي استماع مستمر، فالاستماع قد يكون منقطعاً كالاستماع لخطيب يتابعه المستمع بعض الوقت، ثم يتصرف بغيره، ثم يعود للاستماع... وهكذا، وكالاستماع لمحاضر... ثم يخالف الاستماع لإثارة سؤال، ثم معادته الاستماع. لكن الإصبات يجب أن يكون استماعاً مستمراً غير منقطع لأن الهدف المرجو فيه أسمى وأعلى من الهدف المرجو في الاستماع، ويترتب ذلك على التفاعل الكلي مع دهببات الصوت لاستيعاب المسكت لجميع مضامين الكلام فلا يكون الحال من الأحوال جزء منه، وينسب له الوصول إلى ذلك الهدف المنشود من الإصبات كما في النص القرآني حيث قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤) وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ إِلَيْكَ الْأَصْفَادُ فَلَهُمْ فِيهَا حَصَرَةٌ فَلَا فَوْتَ وَأُخْرُجُوا مِنَ الْقَارِعَةِ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

الخاتمة

قد استطعنا من خلال ما تقدم من المحاولة العلمية المتواضعة أن نلخص على ما سبق اللفظين (الاستماع والإصبات) من الصلة من جهة المعنى وما بينهما من الفرق من جهة الدلالة. وقد يستعمل أحدهما في مكان آخر لكونهما مترادفين يقال من معين حفظ لغوي واحد غير أن الاستماع قد يقطع من القالب به ويشغل بشيء آخر، ولكن الإصبات فلا يسمح بحال لهذا الانقطاع فإنه استماع مستمر على الدوام يوصل القالب به إلى هدف معين منشود منه كما نبهت ذلك من خلال النص القرآني الذي يطالب بالاستماع والإصبات عند قراءة أي من الذكر الحكيم، وفي استعماله هذين اللفظين دلالة واضحة أنهما معني واحد في جانب، وفي آخر يوجد بينهما فرق طفيف في الدلالة والتفاوت في الدرجة لا في طبيعة الأداء.

هوامش

- ١- مجمع اللغة العربية - معهد اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٢م. حروف السين، ص ٢١١.
- ٢- المقود، رأيت في معجمي معجم القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٢هـ، باب السين، ص ١٥٨.

٣- المرجع نفسه، باب السين، ص ١٥٨، ص ١٥٩.

٤- أن يكون اسم اللفظ الخاص بالاداء، كما في المعجم لعلنا، حروف الألف (أ-ح)، ص ١٥٨، ص ١٥٩.

